

تفسير أبي السعود

الأعراف آية 194 195 .

بيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من أن الخطاب للمسلمين والمعنى وإن تدعوا لمشركين إلى الهدى إي الإسلام لا يتبعوكم الخ مما يساعده سياق النظم الكريم وسياقه أصلا على أنه لو كان كذلك لقل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فإن استواء الدعاء وعدمه إنما هو بالنسبة إلى المشركين لا بالنسبة إلى الداعين فإنهم فائزون بفضل الدعوى إن الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم أي إن الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلهة عباد أمثالكم أي مماثلة لكن لا من كل وجه بل من حيث إنها مملوكة لله مسخرة لأمره عاجزة عن النفع والضرر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما أظهر وأقوى من عجزهم إنما هو لاعترا فهم بعجز أنفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما إذ هو الذي يدعوهم إلى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم أي فادعوهم في جلب نفع أو كشف ضرر إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم قادرون على ما أنتم عاجزون عنه وقوله تعالى ألهم أرجل يمشون بها الخ تبكيت إثر تبكيت مؤكد لما يفيدته الأمر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية إنما تتصور إذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الأفاعيل بالمرّة كأنه قيل ألهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الإنكار إلى كل واحدة من هذه الآلات الأربع على حدة تكريرا للتبكيث وتثنية للتقريع إشعارا بأن انتفاء كل واحدة منها يحالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الأرجل بالمشي بها للإيدان بأن مدار الإنكار هو الوصف وإنما وجه إلى الأرجل لا إلى الوصف بأن يقال أيمشون بأرجلهم لتحقيق أنها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الأرجل فهي ليست بأرجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة أم في قوله تعالى أم لهم أيد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيث والإلزام وبل للإضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيث بعد تمامه إلى فن آخر منه لما ذكر من المزوايا والبطش الأخذ بقوة وقرء يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون أخذه وتأخير هذا عما قبله لما أن المشي حالهم في أنفسهم والبطش حالهم بالنسبة إلى الغير وأما تقديمه على قوله تعالى أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها

